

زاد الله

حياته... فلسفته

عبدك تارطاهر شريف

يتكون كتاب « أفسنا » من واحد وعشرين بابا (كتابا) بين يدينا الآن كتاب (الفنديداد) وهو من أحد هذه الكتب الذي يبحث عن الدين والحياة الدنيوية وفيه حوار بين أهورا مزدا وزردشت . أما المبادئ الأساسية للديانة الزردشتية فانها حفظت على ظهر قلب من قبل الزردشتيين طوال حقبة تاريخية طويلة والى يومنا هذا . وقد يتجلى واضحا فكرة الله ووجوده في أفسنا وهو « أهورا مزدا » مع التاكيد على الجانب الروحي أكثر منها على الجانب المادي والجسدي . فاهورامزدا هو الاله وهو الازلي الابدی وهو خالق الكائنات . وهنا لا يختلف مفهوم زردشت عن مفهوم الاسلام عن الخالق (قل هو الله أحد . الله الصمد .) هكذا وردت وحدانية الله وأزليته في القرآن الكريم أيضا .

ان كتاب الفنديداد أثر تاريخي جيد يمكن عن طريقه كشف الجوانب الرئيسة من الديانة الزردشتية بجانب كتاب الكاشاس الذي يعتبره « ويدجيري » أول أثر في الأدب الزردشتية والتي تحتوي على تعاليم زردشت (ومن المقدس ان الكاشاس وهي أول أثر في الأدب الزردشتية تحتوي على تعاليمه ، فان المبادئ الأساسية في الزردشتية قد حفظت على مدى تاريخها كله .) ومهما يكن فان الكتب المعروفة الى الان من هذه الكتب هي : (أفسنا ، فنديداد ، فسبرد ، يستنا ، خرده أفسنا ،

تسمر فيه بانها اسعد ؟ اجاب هرمزد :
(ياخالق عالم الاجساد ، يا قدوس ! ما هو ثاني مكان

هو حيث ينشئ مؤمن دارا مع قيس ، مع ماشية ، مع زوجة ، مع اولاد ، مع قطع جيد . فتنمو في هذه الدار الماشية ، تنمو الفضيلة ، ينمو العلف ؛ ينمو الكلب تنمو الامم - رارة ، ينمو الولد تنمو النار . وينمو كل شيء صالح للعيش)^٣
وهكذا كان زردشت يهتم بالحياة العالية السليمة ويطلب من الله ان تحل عليها بركاته . (من لا يودي الدراهم التي كان قد توسد واستقرضها الى الدائن عند طلبه اياها ، يعتبر سارقا لها ، سالباً مقرضها)^٤

وقد تم تقسيم العقود الى ستة اصناف :
(العقد الكلامي وعقد اليد والعقد على ثمن خروف او ثمن ثور او العقد على ثمن انسان (عبد) والعقد السادس هو العقد على ثمن ارض ، ارض خصبة جيدة) وان الالتزام بتلك العقود يكون كالآتي :

العقد الكلامي يتم ايفاؤه بالكلام اما عقد اليد فيتم فسخه بأداء اجرة اليد ، اي أداء اجرة العمل . اما العقد على خروف فيتم فسخه عن طريق اداء ثمن خروف وهكذا بالنسبة للثور والانسان والارض . وفي حالة عدم الالتزام بتلك العقود فكل عقد عقابه الخاص فالعقد الكلامي مثلا اذا لم يف صاحبه فان ذنبه يشمل اقاربه الاذنين ويكونون جميعا متضامنين في جزائه معه مدة ثلاثمائة سنة ، وهكذا بالنسبة الى بقية العقود مع زيادة العقاب حسب تسلسل العقود الى ان يصل الى الف سنة في العقد السادس . اما جزاؤه فثلاثمائة سوط وثلاثمائة عصا للعقد الاول الى ان يصل الى الف سوط والف عصا لدى عدم الالتزام بالعقد السادس .

يتطرق الفندياد الى حمل السلاح وتهديد الاخرين فقد جاء فيه :
(اذا قام رجل والسلاح بيده ، كان تهديدا ، فاذا هن السلاح كان ذلك هجوما . فاذا مس السلاح بقصد الجرح ، كان ذلك ضربا ، فاذا عاد الجرم الى الضرب ست مرات ، اصبح (بهشوتاتو)^٥) وقد حدد عقاب كل نوع من انواع هذه التهديدات ايضا بالجلد بالسوط والعصا .

يشنات ، والكاشاس .) وكل كتاب من هذه الكتب يبحث عن موضوع مستقل عن المواضيع المبحوثة في الكتب الاخرى ، فكتاب الفسبرد يحتوي على المراسيم الدينية وقد تم توزيع المواضيع على أربع وعشرين (كرده) فصلا . اما كتاب اليسنا فيحتوي على الادعية والمآثورات ، تلك الادعية التي تقرأ عند تقديم القرابين وأداء المراسيم الدينية وهذا الكتاب أيضا الى (٧٦) قسما . أما الكاشاس فيحتوي على الاناشيد ادينية . أما الصلوات والادعية والاناشيد اليومية أو الخاصة بالاعباد والمناسبات فقد جمعت في كتاب خرده أفستا . أما يشنات فهو الكتاب الذي يجمع المذائح والتضرعات وهناك وجهات نظر مختلفة حول كتاب (يشنات) منها تعتبر يشنات كتابا مستقلا ومنها تعتبره جزء من (خرده أفستا) . لقد كتب كتاب أفستا في البداية باللغة اليهودية القديمة في عهد الساسانيين ، وكذلك باللغة السنسكريتية التي يقرأها (البارسي) أما كتاب فندياد فهو يبحث عن الدين والامور الدينية وفيه أبحاث عن خلق العالم ويتألف من (٢٢) فركرد والكتاب عبارة عن حوار بين اهورامزدا وزردشت .

ان كتاب الفندياد يتناول بشيء من التفصيل قواعد وأصول التطهير وكيفية مطاردة الشيطان وقد تم تخصيص الفصل الاول والثاني وكذلك الفصول الثلاثة الاخيرة التي اوجدها (هرمزد) والبريا التي انزلها عليها (أهرمن) . فمدينة (أران) هي تلك المدينة التي يسقيها نهر (اراس) . ويتطرق أيضا الى السهل الذي كان يسكنه (الصفديون) ويعتبره ثاني الامكنة الطيبة في البلاد . أما المدينة الثالثة فهي (مرو) المدينة الحصينة النقية . ومدينة (بلخ) الحساء كما وردت في الفندياد فهي المدينة الرابعة ، ومدينة (نسا) هي المدينة الخامسة والتي تقع بين (مرو) و(بلخ) أما مدينة (هرات) فقد وردت ضمن التسلسل السادس . أما مدينة (كابل) فهي المدينة السابعة ، ومدينة (ميشان) فهي المدينة الثامنة وهي كثيرة الاعشاب كما وردت في الفندياد ، هذا وقد وردت اسماء مدن عديدة أخرى .

في الفصل الثالث من كتاب الفندياد نجد اهتمام زردشت بتربية المواشي والزراعة ومن تربية الاولاد ، حيث جاء مانصه :

تتفق الزرادشتية تماماً مع الاسلام فالاية القرآنية تؤكد على هذا المفهوم - وهديناه النجدين اي طريق الخير والشر ، فالانسان هو الذي يختار طريقه خيراً كان ام شراً . وللقرابة الوثيقة بين الفلسفة الزردشتية والديانة الاسلامية دخل معظم الزردشتيون الديانة لاسلامية . - لذلك فان فكرة الله كمرکز لكل شيء والاعتقاد في الحياة القبلية والتأكيد بان الله قد ابداع ارضاء للناس ، القيم التي يكون تحقيقها ممكناً في مدى هذه الحياة - فان هذا كله قد يسر للزردشتيين على الصعيد المذهبي تبنيهم للعقيدة الاسلامية . فهذا هو ما فعلته في بلاد فارس غالبيتهم العظمى - ٨ وقد دخل معظم ابناء الشعب الكردي في كردستان الدين الاسلامي طوعاً ورجساً وخاصة الزردشتيون منهم وهم كانوا الغالبية .

ان روح التفاؤل واضحة في فلسفة زردشت حيث انها تؤكد دائماً بان هدف الانسانية الاخير انتصار الخير النهائي على الشر .

★ ★

لاهوامش

- * نشرت مجلة شمس كردستان - في عددها ٥٠ - الصادر في تموز ١٩٧٨
- * مقالاً للكاتب عن حياة زردشت وفلسفته .
- (١) فندياد بفتح القاء واسكان التون ومعناه مخالفة الشيطان داود
- ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية . وترجمة من الفرنسية الى العربية الدكتور داود الجلي الموصلي .
- (٢) البان . ج . ويدجيري . المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس الى تونبي . ترجمة دوفان فريرت ١٩٧٢ دار القلم بيروت - لبنان
- (٣) الفندياد : مطبعة الاتحاد الجديدة - الوصل ١٩٥٢ . ترجمة د . داود الجلي الموصلي ص ٤٠-٤١
- (٤) المصدر السابق
- (٥) المصدر السابق
- (٦) المصدر السابق ص ٥٢
- * دروج تعني - رو في اللغة الكردية اي الكتاب - و دروزن - اي الكتاب . نلاحظ وجود مفردات كردية عديدة كتبت بها كاتس
- (٧) المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس الى تونبي . البان . ج . ويدجيري ص ١١٣
- (٨) المصدر السابق ص ١١٧

في الفصل الخامس يؤكد الفندياد على عظمة ديانة زردشت على لسان زردشت حينما يطلب ربه فيقول :

(ياخاتق عالم الاجساد ياقدوس ! الى اي درجة تفوق عظمة وجوده وحسن الدين المعادي للديوات ، دين زردشت ، عظمة وجوده وحسن سائر الكلمة ؟)

اجاب هرمزد :

كما ان بحر (فوآور-كشما) يفوق سائر المياه يا استيتاما زردشت ، كذلك الديانة المعادية للديوات ، ديانة زردشت هذه هي اعظم واجود واحسن من سائر الكلم - (٦)

في الفصل السابع يتطرق الفندياد الى فن - الاشفاء - الطب حالياً وكيفية ممارسة مهنة الطب وماذا يجب ان يتدرب الشخص حتى يصبح جراحاً . والاهتمام بالعلاج النباتي في فصل العشرين . ولم بالعلاج النباتي في فصل العشرين . ولم يهتم هذا الكتاب حتى مراسيم واصول قص الشعر وتمشيطه وكيفية تقليم الاظافر والتخلص من الاظافر المقطوعة والشعر المقصوص وعدم تركها في العراء كي لا يؤدي الى الامراض وتلوث المكان والحفاظ على البيئة وعدم تلوثها بمفهومنا الحاضر .

لدى دراسة الفندياد دراسة علمية دقيقة يتبين جلياً بان فكرة الله ووجوده الازلي هي المحور الاساس والرئيس الذي يدور حوله فلسفة زردشت كما تطرقنا اليها مع قدسية الروح وعدم الاهتمام بالجانب المادي للجسد بعهد الوفاة . ولا يختلف مفهوم الخالق في فلسفة زردشت عن مفاهيم الاديان السماوية الاخرى التي اتت بعد الزردشتية فان اهورامزدا له الكمال وحده وهو الازلي القادر على كل شيء وهو خالق الكائنات جميعها بل وهو يحاسب المخلوقات وهو قريب من الناس في كل لحظة .

وقد جاءت اهتمامات زردشت بالدرجة الاولى بمقاومة الشر هذا الذي ينقل كاهل الانسان - فالشر بصفة جوهرية دروج * اي - الكذب - والمكر - بالمقارنة مع حكمه الله . ولم يحاول زردشت والمؤمنون به اني تفسير للشر بصفته وهما . كما انهم لم يؤيدوا في اي وقت الفرار من الحياة الجارية ، و « الخروج من العالم »^٧ ومن جهة اخرى نرى زردشت يوءدك على ان الانسان حر في اختيار الخير والنتيجة نحوه او ان يقع في الشر وحباثله . وعنه